

في نور محمد فاطمة الزهراء

ذكر أحدهم أن قس بن ساعدة خطب من شهدوا عكاظ يومئذ خطاباً عجيباً، قال فيه: أيها الناس، اسمعوا وعوا، فإذا وعيتم فانتفعوا، من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت آت، إن في السماء لخبراً، وإن في الأرض لعبراً، مهاد موضوع، وسقف مرفوع ونجوم تمور وبحار لا تفور، أقسم قس قسماً حاتماً، لا حائثاً فيه ولا آثماً: إن ديناً هو أحب إليه من دينكم الذي أنتم عليه، ونبياً قد حان حينه، وأظلكم زمانه - قيل: وأشار بيده إلى نحو مكة - فطوبى لمن آمن به فهداه، وويل لمن خالفه وعصاه. ومضى في خطابه، فكان مملاً قاله: ما لي أرى الناس يذهبون ولا يرجعون، أَرْضُوا بالمقام فأقاموا، أم تُرْكُوا هناك فناموا؟ ثم سألهم الرسول: «فأيكم يروي قوله؟». فأنشدوه: في الذهابين الأولين *** من القُرُون لنا بصائر لما رأيتُ موارداً *** للموت ليس لها مصادرٌ ورأيتُ قومي نحوها *** تسعى الأصغر والأكبر لا يرجعُ الماضي إليّ *** ولا من الباقين غابراً أيقنتُ أنني لا محالة *** حيث صار القومُ صائرٌ [465]